

المعلقات: درر الشعر الجاهلي وأيقونته الخالدة

مقدمة

كأروع ما أبدعته قريحة العرب في الجاهلية، وكأنها جواهر نُظمت "المعلقات" في عالم الشعر العربي، تبرز بحروف من ذهب وعلقت في ذاكرة الزمن. هي قصائد تقف عند تخوم الخلود، لا تنتمي لعصر واحد، بل لكل العصور التي تعرف معنى الفصاحة والبلاغة، فهي ليست مجرد أبيات متناغمة، بل سجلات أدبية وثائقية تحكي عن مجتمع بدوي نبيل، وتصور طموح الإنسان العربي في الفخر، والغزل، والحكمة، والرحلة. تعددت آراء العلماء حول سبب تسميتها، وتفاوتت الآراء حول عددها وشعرائها، لكنها بقيت الشاهد الأكبر على ذروة البيان العربي.

تخلف الروايات حول سبب تسمية هذه القصائد بالمعلقات ومن ابرز هذه الآراء :

1. **التعليق على جدران الكعبة:** يقول بعض الرواة إن هذه القصائد كانت تُكتب بماء الذهب وتُعلق على أستار الكعبة نظرًا لقيمتها الأدبية العالية، ما منحها صفة الخلود والمكانة الرفيعة.
2. **تعلقها في الأذهان وحفظها:** يرى بعض النقاد أن التسمية جاءت من شدة تعلق العرب بها وحفظهم لها عن ظهر قلب، فهي لم تكن مجرد قصائد عابرة، بل كانت مثالاً يُحتذى في الفصاحة.
3. **أي جعل شيئاً بارزاً ومرموقاً، وكان هذه القصائد "علق" المعنى اللغوي:** يعود المصطلح إلى الفعل ، كانت تُعلق في سماء الأدب كنجوم لا يخفت ضياؤها.

شعراء المعلقات

ضمت المعلقات مجموعة من أبرز شعراء الجاهلية، الذين صنعوا من الكلمات عروشا خالدة لا تزال تؤثر في الأدب العربي حتى اليوم. ومن أهم هؤلاء الشعراء:

1. امرؤ القيس – أمير الشعراء وأولهم

، وهو صاحب المعلقة الشهيرة التي تعدّ النموذج الأسمى للغزل والوصف، وقد افتتحها "الملك الضليل" يُلقب بـ بمقدمته الطللية البديعة:

قَفَا نَبِكِ مِنْ ذِكْرِي حَبِيبٍ وَمَنْزِلِ
بِسِقْطِ اللَّوَى بَيْنَ الدَّخُولِ فَحَوْمَلِ

2. طرفة بن العبد – شاعر الحياة والموت

كان طرفة شاعرًا شابًا لم يعمّر طويلًا، لكنه خُلد اسمه بمعلقاته التي تنبض بالحكمة والتأمل، ومنها:

إِذَا الْقَوْمُ قَالُوا: مَنْ فَتَى؟ خِلْتُ أَنِّي
غُنَيْتُ، فَلَمْ أَكْسَلْ وَلَمْ أَتَبَدَّدْ

3. زهير بن أبي سلمى – شاعر الحكمة والسلام

امتازت معلقته بالحكمة والعقلانية، حيث أكثر من الحكم والوصايا، ومن أشهر أبياته:

وَمَنْ يَجْعَلِ الْمَعْرُوفَ فِي غَيْرِ أَهْلِهِ
يَكُنْ حَمْدُهُ ذَمًّا عَلَيْهِ وَيَنْدَمُ

4. لبيد بن ربيعة – شاعر الإسلام والجاهلية

كان لبيد من القلائل الذين أدركوا الإسلام واعتزلوا الشعر بعده، وقال في معلقته:

أَلَا كُلُّ شَيْءٍ مَا خَلَا اللَّهَ بَاطِلٌ
وَكُلُّ نَعِيمٍ لَا مَحَالَةَ زَائِلٌ

5. عمرو بن كلثوم – شاعر الفخر القبلي

عرف بفخره الشديد بقبيلته تغلب، ومن أبياته المشهورة:

إِذَا بَلَغَ الْفِطَامَ لَنَا صَبِيٌّ
تَخَرُّ لَهُ الْجَبَابِرُ سَاجِدِينَ

6. الحارث بن حلزة – شاعر الاعتداد بالنفس

كتب معلقته للدفاع عن قبيلته أمام الملك عمرو بن هند، ومطلعها:

أَدْتَنَّا بِبَيْنِهَا أَسْمَاءُ
رُبَّ ثَاوٍ يُمَلُّ مِنْهُ النَّوَاءُ

7. عنتره بن شداد – فارس الحب والسياف

كان شاعرًا وفارسًا، اشتهر بغزله العفيف وفخره بنفسه، وقال في معلقته:

هَلْ عَادَرَ الشُّعْرَاءُ مِنْ مُتَرَدِّمٍ
أَمْ هَلْ عَرَفْتَ الدَّارَ بَعْدَ نَوُهُم

أهم من كتب عن المعلقات من العلماء العرب والمستشرقين

أثارت المعلقات اهتمام الدارسين العرب والمستشرقين، فتناولها النقاد واللغويون بالدراسة والتحليل، ومن أبرزهم:

أولاً: العلماء العرب

- تناول فيه خصائص شعر المعلقات وأغراضه. "الشعر والشعراء" ابن قتيبة (ت 276هـ) في كتابه
- الأصمعي (ت 216هـ): أحد أقدم الرواة الذين نقلوا الشعر الجاهلي واهتموا بشرح المعلقات.

- قدم شروحا وافية للمعلقات مع تفسير "شرح المعلقات العشر" التبريزي (ت 502هـ) في كتابه الألفاظ والمعاني.
- ابن هشام: من علماء اللغة والنحو الذين استشهدوا بشعر المعلقات في دراساتهم اللغوية.

ثانياً: المستشرقون

- اهتم بجمع الشعر الجاهلي ونشره في دراسات أكاديمية في القرن (W. Ahlwardt) ووليم ألورد (التاسع عشر).
- تناول أهمية المعلقات وتأثيرها في الأدب العربي. (Charles Pellat) شارل بيل (بحث في أصول المعلقات وعلاقتها بالموروث الثقافي (Carl Brockelmann) كارل بروكلمان (العرب).

أهمية المعلقات في الأدب العربي

- تعتبر المعلقات أقدم النصوص الشعرية المتكاملة التي وصلت إلينا، وهي تمثل ذروة البيان والفصاحة.
- كشفت عن حياة العرب الجاهليين، من خلال وصف الطبيعة، والحروب، والعادات الاجتماعية.
- أصبحت مرجعاً لغوياً لدارسي العربية، حيث استشهد بها النحاة واللغويون في معاجمهم ودراساتهم.
- أثرت على الشعر العربي في العصور اللاحقة، حيث ظلت نموذجاً يُحتذى به في البلاغة والفصاحة.

خاتمة

المعلقات ليست مجرد قصائد عابرة، بل هي أيقونات الأدب الجاهلي، ومصدر إلهام للشعراء واللغويين، ودليل على ثراء اللغة العربية وروعة بيانها. ظلّ صداها يتردد عبر العصور، شاهداً على عبقرية شعراء الجاهلية، وقدرتهم على تطويع الكلمات لتكون صورة صادقة عن حياتهم، وأحلامهم، وصراعاتهم. سنبقى المعلقات ركناً شامخاً في بناء الأدب العربي، تزداد بريقاً مع الزمن، وتظل منارةً للأدباء والدارسين في دروب الفصاحة والجمال.